

ذكريات المهجد Cain Warwood

. سامي مهدي ❖ .

أنتَ من «الأباما» إذن، ما لم يكنْ قبلُ من ذكرياتٍ
أيُّ حظٍّ سعيدٍ! قد تسلي بها فتيةً في الجوارِ
وأبوك، الذي أنتَ لم تره، إذا عزتِ الفتياتُ،
كانَ سائقَ شاحنةٍ، لا مكانَ له، أو تُحدثُ عنها صديقاً يجاريكُ،
كالطريدِ، أو ساقياً يتشاءبُ في الحانِ،
وأُمكُ محضُ خلاسيةٍ ضللتها الوعودُ، أو شبهاً يترأى لعينيكِ في الخلواتِ.
ولدتكُ، كما قلتَ، في قاربٍ، سيكونُ لكُ الآنَ ما لم تكنْ تدعيهُ:
ثمَّ ألتقتكُ في ملجأٍ، خططُ وبرامجُ للقصفِ والقتلِ
ورعتكُ، هناكُ، ملائكةٌ بوجوهِ قروءٍ.. فيها من الدمِ ما كنتَ، أو لم تكنْ،
هكذا قلتَ أنتَ.. تشتهيهِ
وأغراكُ حُبُّ النقودِ، وستروي الكثيرُ
وجمالُ النساءِ، وريحُ السفرِ، عن بلادٍ تنامُ على بحرٍ نفضٍ
وجنونُ اقتحامِ الخطرِ، وتصحو على كلِّ أمرٍ خطيرٍ،
أو «جنونُ البقرِ»، وتعدُّ البطولاتِ،
فتطوَّعتَ في الجيشِ.. واحدةً بعدَ أخرى،
يا للظرافةِ! نعدُّ معاً، إنْ نسيتَ،
هذا إذنُ ما لديكُ لنا من خبرٍ! نعدُّ معاً، وكأننا نثرثُرُ في حفلةٍ للشواءِ،
..... ولا أصدقاء، ولكننا صُرُحاءُ:
حسنٌ. سيكونُ لكُ الآنَ شيءٌ جديدٌ! فكم اغتلتَ من فتيةٍ نجباءُ،
سيكونُ لكُ الآنَ كم سجتَ وعذبتَ من أبرياءُ،

❖ - شاعر من العراق

وزادوا وزدنا الكلام!

فمن يتحدثُ عن سجنِ «بوكا»؟

ومن ذا يرى سجنَ «صوصة»

أو يتذكرُ سجنَ «المطار»؟

بلى حدثوا عن «أبغريب»، في الليل،

لكنهم سكتوا في النهار،

فالبلادُ غدتُ كلها سجنَ مُرتَهينَ

وموتى يغصُّ بهم أفقُ الانتظار.

.....

أتريد المزيد؟

عن خرائب كانت مصانع،

أو بلاقع كانت مزارع،

أم تكتفي بالجديد؟

لا جديد؟!

إذن أنت تخشى الحديث عن الماءِ

والكهرباء،

وعن شركات توافدن في الليلِ

من كل فج بعيد،

وتخصّصن في النفطِ والأمن،

والأمنِ والنفطِ،

يَحلبنَ حبلَ الوريدِ!

لا تريدُ حديثاً كهذا؟!

إذن، فتعالِ إلى ما تحدّثُ عنه

النساءُ النساءُ

فالحديثُ عن الرعبِ والموتِ

لا ينتهي بينهنَّ صباحَ مساءً..

ألحديثُ عن الرعبِ والموتِ،

لا في الشوارع،

بل في البيوتِ،

البيوتِ التي يطحنُ القصفُ

جدرانها،

البيوتِ التي يهرسُ الموتُ سُكَّانها،

البيوتِ التي لم تعد ما يُسمى: البيوتُ!

أنواصلُ هذا الحديثَ معاً،

أم تريدُ السكوتَ؟!

حسن!

أرأيتَ إذنَ كم لديك، لتروي، من

ذكرياتٍ؟!

فالبطولاتُ أكثرُ من أن تُعدَّ

وتُحسبَ في نُظُمِ الحاسباتِ!

وستروي الكثيرُ

عن بلادٍ تنامُ على بحرِ نَفطٍ

وتصحو على كلِّ أمرٍ خطير،

ولكن، تذكر، إذا أنتَ حدثتَ،

كم سلخَ الخوفُ جلدك،

كم شبَّحاً عابراً شكَّ قلبك،

كم هنتَ،

كم ميتةٌ متّ،

في الضوءِ أو في الظلام!

وها قد وقعتَ،

وعذراً،

فلا أنتَ حيٌّ، ولا أنتَ ميتٌ،

وما عدتَ تفهمُ لغزَ الختام!

فأئن كرسيكَ المتحرّكُ يا صاح،

واكتمَ حديثَ الرجولةِ،

نعني حديثَ الفحولةِ،

فالحرِبُ طاحونةٌ،

والجنودُ وقودٌ،

وما الذكرياتُ عن الحربِ

إلا بقايا الحطام!